الحملـة الصليبية

كليرمونت فى السابع والعشرين من نوفمبر ١٠٩٥

أوشكت زيارة البابا للمدينة الواقعة فى اقليم برجنديا بمملكة فرنسا على الانتهاء · وكان البابا أوربان الثانى Urban II قد دعا الى عقد مجمع كنسى لمناقشة سبل اصلاح الكنيسة الفرنسية التى قد تأثرت ، كغيرها ، بالتدخل العلمانى فى شئون الكنيسة وبالسيمونية أو المتاجرة فى الرتب الكهنوتية · أما الموضوع الثانى ، والذى لم يكن ليقل أهمية ، فهو أن فيليب الثانى ملك فرنسا من آل كابيه كان يعيش حياة الخطيئة مع امرأة رجل آخر على الرغم من تحريم الكنيسة مما اعتبر بمثابة فضيحة من أكبر فضائح العالم المسيحى آنذاك · وخلف الكواليس كانت تداعب البابا فكرة جديدة فى حملة صليبية لتحرير قبر المسيح من نير الاسلام ·

هذه الفكرة كانت قد ظهرت منذ جيل مضى على يد البابا جريجورى السابع · اذ كان الضغط الاسـلامى فى شبه جزيرة ايبيريا ، والغزوات الخطيرة التى قام بها الأتراك السلاجقة ـ الذين كانوا قد استولوا على بغـداد سنة ١٠٥٥ على املاك المسـلمين فى سـوريا وفلسـطين ، وعلى أمـلاك البيزنطيين فى آسـيا الصـغرى ··· كان كل هـذا قد أدى الى ادراك البابا للخطـر الاسـلامى الداهـم ، فطلب مساعدة مسيحية لاسبانيا كما طالب بحملة صليبية لصد الأتراك الذين كانوا يهـددون القسطنطينية · وفى سرحة من سرحات الخيـال رأى جريجورى السابع نفسه قائدا لجيوش التحرير المتجهة صـوب الشرق · وكان يرى أنه يمكن ، فى حالة قيادة زعيم العالم المسيحى الغربى لجيش مسيحى ينقذ القسطنطينية من الكفـار ، أن تعلن البابوية سيادتها على

أوربا الغربية المسيحية ، كما تتجسد مكانة البابا كمدافع عن العقيدة ، بدلا من الامبراطور الذى كان هو المسئول عن هذا الدور دائما · وعلى الرغم من أن هذه الاشارة المدوية كانت حجة ظاهرية ، فان مضمونها كان اكبر بكثير من مظهرها · فقد كان البابا يطمع فى أن تقوم الكنيسة الشرقية بالترضية المناسبة للبابا اذا ما قام بقيادة جيش ينقذ عاصمتها من الخطر الاسلامى ، وتعود علاقة كنيسة القسطنطينية بالبابوية الى ما كانت عليه قبل أن تقطع كل منهما الأخرى سنة ١٠٥٤ · وبدا وكأن التئام الشمل بعد الشقاق الدينى الكبير قد بات وشيكا ، لا سيما وأن الاختلافات العقائدية بين الشرق والغرب لم تكن كبيرة · بيد أن هذه الخطة قد ذهبت أدراج رياح العاصفة التى صحبت المواجهة بين البابوية والامبراطورية ·

ومع ذلك وصلت فرقة من فرسان الغرب المدرعين الى القسطنطينية · وفى سنة ١٠٩٤ أرسل الامبراطور البيزنطى اليكسيوس الأول كومنينوس Alexius I Comnenus سفارة مثلت أمام البابا فى بياكنزا (فى ايطاليا) Piacenza عشية رحيله الى كليرمونت وأثناء رحلة البابا الى كليرمونت عبر جنوب فرنسا ، وهى المنطقة التى خبرت الحرب ضد الاسلام فى شبه جزيرة أيبيريا ، نضجت فكرة انقاذ الشرق المسيحى ولكنها تأخرت فى تطورها · ومن فكرة انقاذ الشرق المسيحى ، الذى لم يكن يتهدده خطر حقيقى آنذاك ، نبتت فكرة تحرير القبر المقدس من نير الاسلام · وتضمنت الخطة الجديدة عناصر قديمة ، واذ تحدد هذا الهدف تحول النداء البابوى الى دعوة لشن حرب صليبية · لقد حلت القدس محل القسطنطينية ولكن العدو ظل كما هو : الأتراك الذين كانوا يحكمون آسيا الصغرى ويهددون القسطنطينية فضلا عن سيادتهم على المدينة المقدسة ·

كان التحول الى القدس يعنى ما هو أكثر من مجرد تغيير المقصد

الجغرافى للحملة الصليبية بل انه غير شكل هذه الحملة من مجرد فرقة من الفرسان المدرعين ترسل الى الشرق الى حملة جماهيرية صارت هى المحور الرئيسى الذى يدور حوله تاريخ أوربا والشرق الأدنى على مدى قرنين من الزمان · ولم يكن اسم القسطنطينية ، وانما أسماء بيت المقدس ، والناصرة ، وبيت لحم هى التى خلقت حنينا مسيحانيا تفجر فى شكل حماسة دينية · ولم تكن أهداف البابوية الرئيسية ـ أى العلاقات مع الامبراطورية الرومانية المقدسة ، والامبراطورية البيزنطية والكنيسة الشرقية المنشقة ـ تعنى شيئا بالنسبة للأفكار والعواطف التى كانت تجيش فى رؤوس الفرسان والفلاحين وفى صدورهم حين انضموا الى الحملة الصليبية · لقد كانت استجابة أوربا الغربية حماسية قوية للأفكار والشعارات التى طرحت فى ذلك الحين ، مثل تحرير القدس ، وتخليص قبر المخلص الذى تخيل البعض أنه رهين الأسر الاسلامى · وقدم البابا وعده بالغفران لكل من يشارك فى الحملة الصليبية ، وهكذا لحقت مفاهيم الحج والتوبة بمشروع جديد : حملة صليبية ذات هدف دينى · وكانت التوبة وأخطار الطريق هى الكفارة التى تفرضها الكنيسة على الآثم التائب · وقد اعتبر أوربان الثانى أن الحملة الصليبية تتساوى مع الحج فى طلب الغفران والتكفير عن الذنوب · وهكذا صار الاشتراك فى الحملة الصليبية بمثابة رحلة حج تكفيرية واستشهادية فى آن واحد · وقد صار مقصدها هو بيت المقدس ، وهدفها الصلاة عند مقبرة المخلص المحررة · ولم يكن أحد يتنبأ بنتاج الدعوة الصادرة من كليرمونت بما فى ذلك أوربان الثانى نفسه · ومن ثم فقد بات من المتوقع والمتصور أن يتم تنظيم حملة من الفرسان المدربين جيدا · ولكن ما حدث بالفعل فاق أقصى ما كان يمكن لانسان أن يتصوره · فعلى مدى عامين بدا وكأن أوربا بأسرها تتحرك فى خروج ثان عظيم الى الأرض المقدسة · وليس بوسع المرء أن يحدد دافعا واحدا فى أمر يخص مئات الألوف من البشر ، ومع ذلك فانه لا يمكن أن يتطرق الشك الى أن الدافع الدينى كان هو الدافع الرئيسى وراء الحركة

الصليبية(١) ، فقد انضم الفرسان والأمراء الى الحركة وفاء بالتزاماتهم فى حكومة العالم المسيحى ، كما بحث سكان المدن والفلاحون عن خلاصهم فى هذه الحركة • ومع ذلك لم يكن أحد منهم بغافل عن سحر الشرق وأعاجيبه ، وهو ما يعنى أن القدس السماوية قد اختلطت بالأرضية ، كما امتزجت المطامح الروحية والمادية للناس • فبعد صدور النداء بشهور قليلة وصل المد الى كل ركن فى العالم المسيحى • وكانت القلة المشاركة فى مجمع كليرمونت هم أول من نقل الخبر • وفى وقت وجيز صار التنظيم الكنسى ـ الذى كان أعظم هيئات عصره من حيث الكفاءة والدقة ـ هو الوسيلة الدعائية للهدف الجديد • فقد انتشرت دعوة كليرمونت من خلال الكنيسة والدير لتصل الى كل قلعة وقرية ، فأثارت الخيال وباتت موضوعا للحديث وخلقت مناخا للرأى العام تحول فيما بعد الى عامل رئيسى فى تاريخ الحركة الصليبية • وأخذ النقاش يدور بين أرباب القلاع وأفصالهم وأتباعهم • وبدأ الأمراء يفتشون عن وسائل تمويل الحملة • ومن قمم المجتمع هذه تسربت الأنباء الى مساكن الفلاحين المتواضعة ، والى المساكن المزدحمة فى المدن النامية • لقد داعبت خيال التابع الاقطاعى الشاب والعازب أحلام عن أعاجيب الشرق والثراء والقصور وجمال الحريم • وتطلع أبناء الأسر النبيلة من الشباب ، الذين يمثلون الدماء الجديدة الى الشرق باعتباره الأرض الموعودة التى يلتقون على ترابها مع أقدارهم • ومع ذلك كانت نزوة المغامرة ، والأمل فى المكافأة المادية

---

(١) الحقيقة أننا لا نستطيع أن نوافق المؤلف على رأيه هذا ، حقيقة أنه يبدو للوهلة الأولى أن الدافع الدينى كان هو العامل الأساسى ولكن البحث المتأنى فى احوال الغرب الأوربى آنذاك يكشف عن الخلفية الحقيقية للحركة الصليبية والتى كانت مزيجا من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية ، والدوافع الشخصية • وفى تصورنا أنه يكون من الأوفق أن نقول ان هذه العوامل والدوافع قد عبرت عن نفسها تحت رداء الدين الذى تسربل به ذلك العصر ـ انظر مقدمتنا لهذه الترجمة • (المترجمان)

تحتل مكانة ثانوية لدى النبلاء والأشراف ، فقد كان رجال العصور الوسطى رجالا متدينين أساسا ، وكثيرا ما كانوا من السذاجة بحيث يعتقدون فى الخرافات · وكانت الرواية المقدسة تشكل جزءا لا يتجزأ من تربيتهم بصرف النظر عن معرفتهم الخاصة بعقائد الدين · ولم يكن العشاء الربانى والاعتراف والقديسون ومآثرهم والأعياد الكبيرة المبجلة فى التقويم المسيحى مجرد طقوس دينية ، وانما كانت جزءا من أسلوب حياتهم · ولم تكن الاستجابة لنداء تحرير قبر المخلص ـ والذى دعمته القصص المتداولة ، والتى لا أساس لها من الصحة ، عن تدنيس الاماكن المقدسة ـ تعتبر فقط واجبا على المسيحى النبيل ، بل كانت ايضا جزءا من التزاماته الفروسية وواجب التابع الاقطاعى فى الدفاع عن سيده وتحريره من أسرة الفظيع فى نير الكافر الدنس · وهكذا أمتزجت التقوى التى تشكل أساس ذلك العصر الدينى ، بالأفكار النامية للفروسية ، وهو ما أدى الى استجابة نبلاء الغرب لتوسلات البابا من أجل شن حملة صليبية ·

لقد كانت استجابة نبلاء الغرب متوقعة الى حد ما ، ولكن احدا لم يكن ليتنبأ برد فعل الجماهير · فقد اجتمع مؤتمر كليرمونت فى نهاية نوفمبر ، وحين كان الفلاحون يستعدون لفصل الشتاء · ومع ربيع سنة ١٠٩٦ كان الريف فى حال من الهيجان فلم يحصد الفلاحون محصولهم لكى يعولهم فى العام التالى ، ولكنهم جمعوا محاصيلهم من أجل الرحلة الى الشرق · وبعد شهور قلائل حملت أسر الفلاحين التى تفوق الحصر فى آلاف الضياع ممتلكاتها الحقيرة ، ومعها النساء والأطفال ، على عربات ثقيلة تجرها الثيران أو الخيول وشقوا طريقهم صوب الشرق · وربما كانت القصة القائلة بأن الآلاف استجابوا لنداء أوربان الثانى بقولهم « انها ارادة الرب » قصة غير حقيقية ، ولكن الأمر بالنسبة لفلاحى أوربا كان أشبه بأمر الهى مباشر ، ورأوا فيه المعجزة الأولى فى سلسلة الأحداث الدالة على قدوم المسيح الثانى · ولم يكن فى استطاعة كتاب

الحوليات الكنسية العارفين بالشعب أن ينسبوا هذه الحال الدينية المفاجئة الى شيء سوى معجزة ، والا فما الذى حرك الجماهير المادية البليدة الجاهلة ؟

وليس ثمة شك فى أن كثيرا من الفلاحين الذين حملوا عائلاتهم على عربات قد فكروا فى تحرير أنفسهم من رق الأرض والعبودية الى جانب تحرير قبر المخلص ، فقد كان من المقبـــول ضـمنا أن صـاحب الضيعة الاقطاعية لا يستطيع أن يمنع أقنانه من ترك الأرض ، اذ بات من المقرر كقاعدة ثابتة أن جيش التحرير سيكون نفرا من الرجال الأحرار . ولم تكن كلمة فرنجة Franci تعنى الفرنسيين فقط ، أو الأوربيين عامة فيما بعد ، ولكنها كانت تدل أيضـــا على الرجال الأحرار . وفى الأرض سوف يبقى المحاربون أحرارا بعد أن يفتحوا البلاد ، وسوف يمتلك المهاجر مزرعة خاصة وربما يمتلك اقطاعية كاملة يعمل فيها الفلاحون المسلمون عبيدا له . ومع ذلك ، وعلى الرغم من أنه كان لكل فـــرد أمله الصغير وأطماعه الانسانية ، فانه كان يهتم أيضا بخلاصـــه وبحياته فى الخلود ، ولذا كانت الحركة الى الشرق تجـــاه المذبح والشمس المشرقة التى هى الرموز الخالدة للأمل والخلاص .

وهكذا دخلت أوربا مع مطلع القرن الحـــادى عشر مرحلة احيــاء ويقظة دينية . وقد أثار الألف الأخير المتوقع مع بداية الألف الثانية وبعد اربعـــة وثلاثين عاما (١٠٣٤) ، أى بعد ألف سنة من صلب المسيح ، موجة من التوبة فى وسط أوربا وغربهــا . وتعمق الشـــعور بالخطيئة والاحساس بالذنب . وقد أضفت الحركة الاصلاحية التى تزعمها ديركلونى والأديرة التابعة له ، والتى شملت الكنيسة نفسها ، بعدا جديدا على المناخ الدينى السائد ، فالحركات التى تستلهم الدين صارت واقعا محسوسا فى حياة الغرب السياسية مثل حركة « سلام الرب » ، « وهدنة الرب » التى كانت تمنع اراقة الدماء ، وتحصر القتــــال فى نطـــاق أيام معدودة من

الأسبوع تحت تهديد التحريم والمقاومة الجمـــاعية · وقد دعمت معاناة جماهير العامة حركة السلام ضد البارونات التواقين للنهب والمغامرة · وفى الوقت نفسه أدت التجربة الأليمة مع بداية القرن الى أن يبحث الناس عن وسائل يتحررون فيها من عبء الخطيئة، ومن هنا كثرت زيارات الأماكن المقدسة ، كما اكتسبت حياة الرهبنة جاذبية كبرى · وتم احياء الرهبنة مع بداية القرن الحادى عشر حين ظهرت أعداد كبيرة من نظم الرهبنة فى ايطاليا وانتشرت عبر جبال الألب · وكان أكثر هذه الظواهر وضوحا هى الحركات الباكرة التى أخذت تدعو الى العودة لحياة الفقر التى عاشها المجتمع المسيحى الباكر · وكانت هـــذه الحركات تشكل خطرا على نظم الحكم التى كانت قائمة آنذاك ، وأدانتها الكنيسة باعتبارها حركات هرطقية منشقة · الا أنه الادانة لم تشمل الجميـــع ، فقد كان الوعاظ الجوالون ينادون هنا وهناك بالحياة الرســـولية ، أى بالعودة الى احتذاء خطى الرسل · وحظى الفقر الذى عاشـــه الحواريون بالمديح ، بل واعتبر من الفضيلة ، كما كان تقليد حيـــاة الحواريين فى أسلوب حياتهم البسيط بمثابة تكفير عن الماضى وحماية للمستقبل ·

وسرعان ما تحولت الدعوة الى حركة صليبية (والتى أدت اليها أسباب عديدة) ، أى الى فعل تكفيرى جماعى ، وكفارة عن رغبات وويلات ذلك الجيل · وتكشف الطريق الى الشرق بفعل عوامل كثيرة منها : التحرر من ربقة الشعور القاهر بالاثم والخوف من عقاب الجحيم فى الآخرة ، وفرصة القتال برفقة الاخوة وموافقتهم ومباركة الكنيسة ، وفرصة الوفاء بالتزامات الفرد كمسيحى وكفارس ، فضلا عن الوصول الى مدينة القدس الأرضية التى كانت تبدو وكأنها تنادى أبناءها الحقيقيين ليخلصوها من الكفرة ··· انتصار دنيوى مصحوب بوعد بالثواب السماوى ·

وماذا بعد الغزو ؟ من الغريب أن أحـــدا لم يطرح هـــذا السؤال · واذا كانت هناك أفكار واضحة لدى أوربان الثانى أو ادهمار اسقف لى بوى

Le Puy الذى عينـــه قائدا للحملة الصـــليبية ، فهـــذه الأفكار لم يعلن عنها شىء حتى وصلت الجيوش الصليبية الى آســـيا الصغرى . أما بالنسبة للجماهير الغفيرة من الفلاحين وســـكان المدن ورجال الدين والرهبان والفرسان ، فان هدفهم اقتصر على مجرد الوصول الى بيت المقدس . ولم تكن مجرد صدفة أن العامة المشتركين فى الحملة الصليبية أظهروا علامات الثقة فى النفس ، وربما الكبرياء . فلو أن يوم الحساب قريب ، ألن يكون الفقراء هم أول من يدخل القدس السماوية حسب تعاليم الكتاب المقدس ؟ ومن ثم صار الفقراء طبقة متميزة ، وقد ارتبطوا ببعضهم فى شركة غريبة تضم الذين لا يملكون ، وهم جماعة أحسوا على الفور أنهم جماعة مختارة للخلاص .

وهكذا تحركت فى ربيع سنة ١٠٩٦ ـ أى بعد نصف عام فقط من خطبـــة كليرمونت صـــانعة التاريخ طـــلائع الفلاحين التى سبقت حملة الفرسان الصليبية الكبرى . فانضمت أسر الفلاحين الى بعضها البعض ، وتزايدت أعداد الجماعات المتجهـــة صوب حوض الراين بحيث صـــارت فرقا وجيوشا . واختار البعض لأنفسهم قادة من بين نظرائهم ، على حين انضوى البعض الآخر تحت لواء أحد الفرســـان أو أحـــد أبناء العائلات النبيلة ، وتحرك البعض دونما قيادة . وقد حــــدث أن ســـــارت بعض المجموعات وراء أوزة أو ماعز ، شك فى أن الحركة المقدسة تلهمها قوى غيبية . أما الذين ساورتهم الشكوك حـــول ذلك ، فقد تعين عليهم أن يسمعوا الحكايات التى كانت تروى عن الأصـــوات والرؤى التى تجلت للمختارين والمتنبئين الذين عاشوا لحظات مجدهم فى تلك الفترة .

وسرعان ما تعرضت مسيرة الكنيسة المقاتلة التى تصاحبها التراتيل المقدسة ، والتى بدأت كتعبير عن شعور دينى ، الى الاحداث التى شوهت صورتها . اذ ارتكبت واحدة من أكبر الفظائع فى التاريخ : تلك المذابح الدموية التى أجهزت تماما على الجماعات اليهودية فى حوض الراين ، وهى جماعات يعود تاريخ بعضها الى عصر الامبراطورية الرومانية ، أى

قبل أن تطأ قدم أى جرمانى همجى هـــذه الأرض الكلتية • وكان البعض الآخر أحدث فى الوجود على حين كانت بعض هذه الجماعات اليهودية قد قامت بناء على طلب ودعوة الاساقفة المحليين الذين أرادوا تعمير المدن الناشئة وتحويلها الى مراكز للتجارة والدخل • وفى اطار هذه الجماعات ازدهرت مدرسة حكماء فرنسا واللورين التى انجزت أول المؤلفات الكبيرة فى تفسير الكتاب المقدس والتلمود فى شمال أوربا فى القرن الحادى عشر • ثم حدثت الكارثة التى توازى الهولوكست فى عصرنا الحالى • ذلك أن جماهير الصليبيين العامة ، التى انتابتها حالة مجنونة من الحماســـة المسيحانية ، أخذت تخير اليهود بين الردة أو الموت • واختارت الجماعات اليهودية الاستشهاد • ولا يمكن قراءة تفاصيل المذابح دون أن يشعر المرء باشمئزاز ، حتى بالنسبة لذلك العصر الذى اتســم بالنظاظة • وقد عبرت كراهية اليهود الدفينة فى كل البلاد المسيحية عن نفسها فى المذابح التى أصبحت ظاهرة ترتبط ارتباطا عضويا بكل حملة صليبية على طول مائتى سنة هى عمر الحركة الصليبية • وقد تلاشت مجتمعات يهودية بأسرها ، كما لقى آلاف اليهود حتفهم لأنهم رفضوا التعميد المسيحى • وبعد جيلين ، أى خلال الحملة الصليبية الثانية ظهر طقس جديد مثير للرعب والرهبة هو طقس الاستشهاد • فبدلا من قبــول التعميد الاجبـــارى كان الرجال يقطعون رقاب زوجاتهم وأطفالهم وهـــم يتلون الصلوات الخاصـــة بذبح الحيوانات ، ثم ينتحرون وقد وجد الصليبيون الذين تغلغلوا الى مخابىء اليهود الساحات الصامتة التى اكتظت بجثث أولئك الذين استشهدوا على ايمانهم•وخلال شهور قليلة اختفت من الوجود مجتمعات يهودية مزدهرة ، كما دمرت مراكز التعليم والثقافة فى سباير وورس وكولونيا ، وبراين • فضلا عن تعرض أحوال هذه الجماعات الاجتماعية للخطر ، ودخل اليهود في قرون الظلمة والاضطهاد الطويلة التى أستمرت فى بعض المناطق حتى بداية القرن العشرين •

وقد حاول بعض الأساقفة ، فى أماكن متفرقة ، انقاذ اليهود ، فقد

كانت سياسة الكنيسة الرسمية تحرم التعميد الجبرى وارتكاب المذابح ضد اليهود الذين كان من الضرورى الاحتفاظ بهم كدليل وشهادة على الايمان المسيحى ، وكانت حجة الكنيسة أنه يجب أن يستمر احتقار اليهود واذلالهم كدليل قائم على انتصار الكنيسة المظفرة · بيد أن تدخل الاساقفة لم يكن ذا تأثير يذكر ، اذ كانت الجماهير الثائرة تجد مخابىء اليهود (التى كانت حصونا فى أغلب الأحوال) وتعصف بها وتقتل اليهود · وقد أعلن أنه يجب تطهير البيت من الداخل قبل قتال الكفار بالخارج · وهكذا أضيفت أسماء قادة من أمثال فولكمار Volkmar ، وجوتشوك Gottschalk واميخو Emicho الى قائمة العار الطويلة فى تاريخ أمة الشهداء ، لأن هذه الأسماء ليس لها ذكر فى تاريخ الغرب(٤) ·

واتجهت الجماهير التى عبرت الراين جنوبا صوب نهر الدانوب ، ثم واصلت سيرها نحو الشرق · واذ كانت هذه الجماهير تفتقر الى

---

(٤) لا شك أن المذابح التى تعرض لها يهود أوربا أثناء الحركة الصليبية دليل على مدى وحشية مرتكبيها ، ولكن يبدو أن المؤلف يتجاهل حقيقة أن اليهود يتحملون جزءا من مسئولية ما حدث لهم · فقد كانت الجماعات اليهودية تسيطر على شئون المال والتجارة فى أوربا العصور الوسطى · وكان طبيعيا أن يلجأ اليهم كثيرون من أجل الحصول على القروض · وفى أثناء فترة الاستعداد للحروب الصليبية لجأ فرسان الغرب الى المرابين اليهود للحصول على الأموال اللازمة · وكان للديون الثقيلة التى كبلوهم بها أثرها فى اذكاء نار العداوة الكامنة فى نفوس المسيحيين ضد اليهود · ومن ناحية أخرى ، اتخذ يهود أوربا موقفا معاديا من الحركة الصليبية منذ البداية مما زاد من مشاعر السخط والكراهية ضدهم

انظر : Runciman, A hist of the Crusades, Harper Torchbook New York 1964, vol. I, pp. 134 - 141.

وكذلك : سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧١ ، جـ ١ ، ص ١٤١ ـ ص ١٤٤ · (المترجم)

التنظيم وتسيطر عليها مشاعر الثورة ، ولانها كانت نهبا لمشاعر الخوف والشكوك ، فان المؤن التى كان الأفراد والجماعات يحملونها سرعان ما نفدت ، وبدأت أعمال النهب ، ففى فرنسا والمانيا وبوهيميا ايضا كان السكان المحليون يمدون جماهير الحملة الشعبية بالمؤن والأغذية • ولكن الجماعات فى مسيرها عبر أراضى المجر والبلقان بدأت تسلك سلوك الجيوش الغازية التى تخترق أرض الأعداء • ونظم أهل المجر المقاومة المسلحة ، وخاضوا المعارك ضد الجماعات الصليبية التى تحولت الى السلب والنهب • وساء الموقف عندما دخلت هذه الجحافل الفوضوية أراضى البلقان الخاضعة للامبراطورية البيزنطية • وكان للغة المجهولة والكنيسة المختلفة والعادات الغربية أثرها فى تحويل لقاء الشرق والغرب الى موقعة عسكرية • ولقمع هذه العصابات أرسل البيزنطيون القوات التى غالبا ما كانت من الاتراك العاملين فى خدمة بيزنطة لمنع النهب ، وكثيرا ما كانوا يمدون الجموع الصليبية بالمؤن والأغذية ليتجنبوا السلب والنهب • بيد أن الطريق الى القسطنطينية بات مرصعا بالقرى المحترقة والمدن المسلوبة واكوام الجثث • لقد عانت بيزنطة من تطرف الجموع القادمة من الغرب المسيحى ، وهى الجموع التى كان من المفروض انها قدمت لتجدتها •

وتضافر الجوع والمرض مع المقاومة المحلية للقضاء على أعداد كبيرة من الجموع الصليبية الشعبية • ولم تصل الى القسطنطينية من هذه الجموع الغفيرة التى تحركت من أوربا سوى شراذم هزيلة • وكانت مجموعة منها تحت قيادة بطرس الناسك أو بطرس الاميانى Peter of Amiens تكون الذى جعلت منه الأساطير المتأخرة بطلا صليبيا كبيرا • وعلى الرغم من تأثيره الفائق على جماهير الصليبيين العنيدة ، فانه لم يستطع أن يبقيهم فى العاصمة فان اليكسيوس الأول

كومنينوس واتباعه لم يتحملوهم ، فنقلهم الامبراطور بسرعة عبر البسفور حيث واجهوا المسلمين فى نهاية المطاف . ولأنهم غير منظمين وينقصهم الاستعداد ، فقد بدد الأتراك شملهم ومزقوهم شر ممزق حول نيقية القديمة والحقوا بهم الخسائر الفادحة . ولم ينقذهم سوى تدخل الامبراطور الذى انقذ بقاياهم واعادهم سالمين الى العاصمة . ومع خريف سنة ١٠٩٦ كانت حملة الفلاحين الصليبية قد لاقت نهايتها المحتومة .

وبينمـــا كانت الحملة الصليبية الشعبية تتخبط فى ممرات البلقان لتنتهى نهاية مزرية خارج أسوار القسطنطينية ، كانت حملة الفرســـان الصليبية الكبيرة تحشد قواتها المضاربة . وبدأت جيوش أوربا الغربية المنظمة جيدا والمدربة تماما تتحرك في منتصف صيف سنة ١٠٩٦ . وانضم حكام انجلترا الفرنسيون الى أخوتهم وأقاربهم عبر القتال الانجليزى فى فرنسا ، على حين لحق فرسان اقليم الفلاندرز بالجيوش القادمة من شمال ووسط فرنســا . واستعد فرســـأن شـــمال ايطاليا للانضمام للحملة الصليبية . أما فى جنوب شــــبه الجزيرة الايطالية فقد كان النورمان مايزالون مشتبكين فى صراع ضد المسلمين والبيزنطيين ليقيموا لأنفسهم امارة على جانبى مضيق مســـينا . وقد ربطوا مصيرهم بالصليبيين . الا أن اسبانيا المشغولة بقتال مسلمى الأندلس ، والمانيا التى استغرقها النزاع على التقليد العلمانى (بين البابا والامبراطور الألمانى) لم تستجيبا لنــــداء البابا . وقد تحرك الاسكندنافيون بعد فترة وجيزة واشتركت جماعات صغيرة من السلاف في بوهيميا وبولندا والمجر فى الحمـــلات الصليبية التالية .

وهكذا تم تكوين اربعة جيوش كبيرة اعتمد تنظيمها على التقسيمات الجغرافية والولاء المحلى والجنسى واللغوى للمشاركين فيها . فقاد روبرت دوق نورماندى جيوش شمال وغرب فرنسا التى انضم اليها اتباع اخيه هنرى الأول ملك انجلترا ، وقاد جودفرى البولونى جيش الفلاندرز واللورين

وشمال غرب فرنسا ، على حين قاد هوف الفيرموندوى ، أخو ملك فرنسا فيليب الأول فرســـان وسط فرنســـا ، موطن آل كابيه ، وتولى ريموند دى سان جيل كونت تولوز وماركيز البروفنسال قيادة جيوش جنوب فرنسا والبروفنسال ولانجدوك • وأخيرا تولى بوهيموند الأورنتى وابن اخيــه الشهير تنكرد قيادة النورمان الايطاليين •

وتم تعيــين أدهمـــار دى مـــونتيل Adhemar de Monteuid اسقف لو بى Le Puy كممثل أو مندوب بابوى • وباعتباره صاحب أعلى درجة كهنوتية ، فقد صـــار هو الوسيط والمنظم بين قادة الجيوش الصليبية • وقد لحق بالجيوش الكبيرة التى تكونت أساسا من الفلاحين الذين كانت حركاتهم تتم عادة تحت قيادة رؤســـائهم المحليين التقليديين (أى سادتهم من النبلاء) • وحدثت بعض التجاوزات هنا وهناك ، ولكن تحرك الجيوش بشكل عام تم على درجة مقبولة نسبيا من النظام • وسارت الفيالق الفرنسية على الطريق البرى صوب الشرق عبر أراضى وحوض الدانوب ، على حين عبرت قـــوات النورمان الايطاليين وبعض القوات الفرنسية البحر الأدرياتى وتحركت خلال طريق فيا اجناتيا Via Egnatia الرومانى القديم والذى يمر عبر البلقان •

كانت القسطنطينية هى نقطة التجمع حيث التقت الجيوش الصليبية معا فى ربيع سنة ١٠٩٧ • وكان هـــذا هو لقاؤهم الأول مع الشرق : فها هو الامبراطورية المسيحية الشرقية على البوسفور ، ولم يكن بمقدور أحد منهم أن يصل بخياله الى تصور منظر العاصمة العظيمة • ونظرا لأن الصليبيين قدموا من أوربا الخالية من المدن ، حيث كان عــدد التجمعات السكانية الكبرى يتراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف نسمة ، فقد اندهش الصليبيون لجمال القسطنطينية بأسوارها التى تبلغ الميل طولا ، وقبابها الذهبية التى تسمو وسط السحب ، فضلا عن قصورها وكنائسها وأسواقها

وميناثها المزدحم الى جانب الآثار التى تحكى قصة مجدها الكلاسيكى . على أن اكثر ما اثار دهشتهم هى جماهير السكان الغفيرة . فقد كانت القسطنطينية بوابة الشرق ومدخلا عظيما الى هـذا الشرق السـاحر الغامض . وكانت تلك أيضا هى لحظة الصدام الأول مع دعاوى بيزنطة .

وقد أخذ الامبراطور اليكسيوس الأول كومنينوس بوصول منقذيه . لقد كان حاكما قويا وحاول قدر جهده أن يمنع هزيمة الجيش البيزنطى على يد الأتراك السـلاجقة فى منزيكرت منذ جيل مضى (١٠٧٠) . ولكن منقذيه لم يكونوا من فرق الفرسان فقط كما كان يتوقع ، وانما كانوا شراذم الفلاحين الصليبيين المشاغبين . وهو ما جعله يتوقع ما هو أسوأ . وهكذا كان على اليكسيوس أن يواجه احتمـال رؤية امبراطوريته ترزح تحت وطأة الجيوش الأوربية القوية الضخمة . ومن ثم حاول الامبراطور التوصل الى نوع من الاتفاق مع القادة الصليبيين ، فقد كان من المستحيل أن يعاملهم كمرتزقة يدفع لهم الرواتب لقاء عملهم فى خدمته . كما كان من الصعب أن يعتبرهم حلفاء . ومن حسن الطالع أن الجيوش الصليبية لم تصل معا فى وقت واحد ، مما أتاح للامبراطور فرصـة التعامل مع القادة . كل على حدة . فضلا عن أن ريموند السـانجيلى وبوهيموند الأترانتى (وهو حليف جبـار كان قد غزا الأملاك البيزنطية فى البلقان منذ سنوات قليلة) كانا يتطلعـان الى نوع من التفويض الامبراطورى لتدعيم موقف كل منهما بين القادة الصليبيين . وقد نجح الامبراطور فى أن ينتزع من كليهما وعدا بالحفاظ على حقوق امبراطوريته فى غزواتهما التاليـة التى تتم فى المقاطعات البيزنطية السـابقة مستخدما الحيـل والتهديدات والرشوة للوصول الى هدفه . وفى النهاية قطع معظم القادة الصليبيين على أنفسهم عهودا أمام الامبراطور ، مقابل امدادهم بالأنذلاء والأموال والمؤن ، ثم قام الامبراطور بنقلهم على وجه السرعة عبر المضايق الى الأراضى الآسيوية .

وهنالك ، خارج القسطنطينية بعدة أميال ألفى الصليبيون أنفسهم فى أرض العدو للمرة الأولى . ذلك انه بعد انتصار الأتراك السلاجقة فى مانزكرت أصبحت آسيا الصغرى بأمرها فى قبضتهم . الا أن السيادة التركية الجديدة على هذه المناطق لم تغير التركيب السكانى الذى ظل بيزنطيا فى غالبيته ، على حين ظلت الحامية السلجوقية فى الحصون وقلاع المدن فقط . واذا كان ثمة شعار للتحرير قد طرح من قبل ، فان الطريق الى تحقيقه على يد الصليبيين كان يبدأ من هذه المنطقة ..

وفى البداية بدا وكأن الأمور سوف تسير على هوى الجيوش الصليبية . فقد تم حصار مدينة نيقية وتسليمها الى بيزنطة وفقا لما طلبه أهلها . ثم تحركت الجيوش الصليبية تجاه الجنوب ، واحرزت انتصارا فى معركة ضوروليوم الخالدة سنة ١٠٩٧ . وتوقفت كل المقاومة المنظمة عبر آسيا الصغرى .. ومع ذلك كانت الجيوش تتعرض للهجمات الخاطفة من جانب الأتراك بشكل متواصل ، اذ كانت وحدات الفرسان رماة السهام تظهر فجأة وكأنما انشقت عنهم الأرض ، ويمطرون الصليبيين بوابل من سهامهم ، ثم يختفون فجأة كما ظهروا . وكم كانت هذه الهجمات المفاجئة مؤلمة ومزعجة بالنسبة للصليبيين ، ولكنها لم توقف تقدم الجيوش . أما المناخ ، فقد كان هو عدو الصليبيين الرئيسى . فقد كانوا يعانون من حرارة الجو التى اشتهرت بها مناطق وسط آسيا . كما عانوا من نقص الطعام والماء عندما كانت تنفد المؤن التى امدهم بها الامبراطور البيزنطى بصورة كريمة . ولكن الجيوش أخذت تناضل وهى تشق طريقها باتجاه قلب آسيا الصغرى ، ثم واصلت السير صوب الجنوب حتى ممرات جبال طوروس الضخمة . واحتل الصليبيون ، فى طريقهم ، قونية عاصمة الأتراك فى آسيا الصغرى ..

وبعد وصول الصليبيين الى جبال طوروس قابلهم المسيحيون فى

المنطقة التى عرفت باسم أرمينيا الصغرى التى هاجر سكانها اليها من أرمينيا الكبرى حول بحيرة فان Van ، وخلقوا كيانا سياسيا جديدا فى هذه المنطقة · وهناك تلقى الصليبيون النداء الأول من السكان المسيحيين لمساعدتهم · فقد خلقت تقلبات الحرب والغزو منطقة من المقاطعات الصغيرة تبدأ من البحر فى الغرب حتى أعالى النهرين فى الشرق · وكان غالبية سكان هذه المنطقة من المسيحيين الأرمن ، وكان بعضهم يخضع لحكم القادة البيزنطيين ، على حين كان البعض الآخر يدين بالطاعة للبيزنطيين الخائنين ، أو الأرمن الذين أعلنوا ولاءهم أو طاعتهم أو كليهما للزعماء الأتراك ، أو لحكام مقاطعاتهم · ومن هذه الجماعات المسيحية فى الرها وما حولها جاء النداء بطلب مساعدة الصليبيين وتحرك لنجدتهم بلدوين شقيق جودفرى · وقد رحب به حاكم الرها وتبناه ، ولكن بلدوين دبر تمردا ضد الشخص الذى أحسن اليه ، ثم استولى على المدينة ، واقام اول مقاطعة صليبية فى الشرق ، وهى امارة الرها · وهكذا أقيم شعار بيت دوق اللورين بين نهرى دجلة والفرات ، وبذلك أسست أوربا أولى مستعمراتها فيما وراء البحار ·

وفى الوقت نفسه عبر الجيش الصليبى ممرات جبال طوروس ودخل شمال سوريا · وكانت مراكز الحكم الاسلامى فى انطاكية ودمشق · فمنذ أن قام الأتراك السلاجقة بغزو انطاكية سنة ١٠٨٥ انقسمت سوريا الى امارات صغيرة كانت تدين بالتبعية الاسمية للخلافة العباسية فى بغداد ، وسلطة السلطان السلجوقى القابع بعيدا فى فارس · وفى الحقيقة أن القتال والتحارب كان هو النغمة السائدة فى العلاقات بين الأمراء ·

وفرض الصليبيون اول حصار طويل منظم تمارسة الحملة الصليبية الأولى فى ١٠٩٧ ـ ١٠٩٨ · وعلى الرغم من بسالة الدفاع عن المدينة ، فانها سقطت بسبب خيانة الأرمن · وكان سقوط انطاكية بمثابة طوق

النجاة الذى أنقذ الصليبيين ، اذ كان هناك جيش سلجوقى ضخم قد تحرك من الموصل لنجدة المدينة ، وكان على بعد سيرة أيام منها • فلو أن المدينة لم تكن قد سـقطت بعد ، لشهدت جبال المنطقة نهاية الجيوش الصليبية المرهقة الجائعة ، وتلقفتها سيوف سكان المدينة المسلمة وقوات الانقاذ •

وحين فشل قربوغا فى انقاذ انطاكية استقر الجيش لحصار المدينة التى اكتظت بالجثث وعضهـا الجـوع بعد أن تحصن الصليبيون بهـا • وبدا أنهم فى حاجة الى معجزة تفتح أمامهم سـبيل النجـاة ، وقد حدثت المعجزة • فقد خرج أحد رجال الدين البروفنساليين المغمورين بحكاية عن رؤيا مقدسة ، وأعلن أن الحربة التى كانت قد اخترقت جسد المسيح منذ أحد عشر قرنا مخبوءة فى انطاكيـة • وتم العثور على الحربة بسهولة لأن الرؤيا حددت موقعها بالضبط • وقد أدت هـذه الآية السـماوية الى رفع معنويات الجيش الذى عبر عن شجاعته واقدامه فى هجوم إستمر يوما كاملا ضد قوات الحصار الاسلامية • وتفرق الجيش التركى المهزوم واختفى • ولم يكن هناك جيش اسلامى آخر يمكنه سد الطريق الى القدس ، وقد تكفل الطمع الانسانى بهذه المهمة •

فقد تسبب عناء الطريق الطويل والأمراض والحاجة ، ومتاعب فترة الحصار الثنائى لمدينة أنطاكية ، فى الفسـاد الاخلاقى ، أو ما يمكن ان نصنفه بالافلاس الايديولوجى للحركة الصليبية • فقد انطلق الطمع والجشع المكبوت من أغلال الايديولوجية والواقع المر الذى كان يخفف من جدته ، واختار لحظة انطلاقه حين توقفت الحرب ، وتجسد فى بؤرة شريرة من الدسائس والصراعات والمؤامرات التى امتدت خيوطها بين القادة الصليبيين • فقد تحدى ريموند السانجيلى ، بوهيموند النورمانى صانع النصر فى انطاكية وادعى أن المدينـة من حقـه • ولكن قادة الجيوش الصليبية قرروا ترك انطاكية للنورمانى وتجاهل الاتفاق المعقود مع الامبراطور البيزنطى الذى

كان يطالب بالعاصمة لنفسه . وفى خضم هـــذا الصراع تفرق الجيش الصليبى، وأخذ القادة والرؤساء والفرسان ذوو الرتب الأدنى يغيرون على المناطق الريفية المجاورة لانطاكية ، كل منهم يحاول أن يحصل لنفسه على بعض الأملاك . ولما كانت المقاومة المحلية ضعيفة ، فان القرى والمـــدن والقـــلاع لم تلبث أن خضعت للصليبيين . ووجد الغربيون المســاكن السورية مريحة والطعام لذيذا ، وبدا أن اقامتهم فى شمال سوريا سوف تدوم . ويغلب على المرء انطباع بأن انطاكيـة حلت محـل القدس ، وأن نهر العاصي (الأورونط) حل محل الأردن . وعند هـــذه المرحلة تفجرت ثورة غير متوقعـــة وتحدت الزعمـــاء . فقد طالب الفقراء الذين كانوا مايزالون يحملون شعلة الحركة ، بعودة الزعمـــاء الى الالتزام ، وأعلن متحدثهم فى جرأة أن هدف الحملة الصليبية لم يكن الحصول على أملاك للقادة ، وأن مقصدها لم يكن أنطاكية وانما بيت المقدس . هـــذه الثورة قوبلت بالسخرية والدهشة فى بداية الأمر ، ولكن هذه الدهشة لم تلبث أن تحولت الى صدمة عندما هدد زعمـــاء التمرد بحرق انطاكية ، وهـدم أسوارها اذا لم يتحرك القادة الى القدس فى التو .

وفى هذه المرة كان رد الفعل مســاويا للتهديد ، اذ أقسـم القــادة الصليبيون قسما جادا بألا ينســوا القدس . وبعد التكفير والتوبة تحرك الجيش الصليبى الى جنوب ســوريا ولبنان ولم تبذل المراكز الاســلامية شرق نهر العاصى وحلب وحمـــاة وحمص أى جهد لوقف تقــدم الجيوش الصليبية . بل ان أمراء المدن سهلوا حركة الجيش وأمدوه بالمؤن حتى يتخلصوا من الغزاة . والحقيقة أن الصليبيين فى طريقهم الى القدس لم يتوقفوا لكى يستولوا على المــدن والقــلاع ، بأستثناء مدينـــة طرابلس اللبنانية التى فرض عليها حصار فاشل وتركت تحت رقابة حامية صغيرة . وفى ربيع سنة ١٠٩٩ مر الجيش ببعض المدن المشهورة ذات الأسماء التى تذكر بالعالم القديم والعالم الهيلينستى ، وهى مـــدن بيروت ، وصيدا ،

وصور ثم وصل أخيرا الى فلسطين ، ثم سـار الجيش بحذاء سـاحل الجليل حتى وصل الى خليج عكا ، ودخل سهل شارون الخصيب المشهور في الكتاب المقدس ، وواصل السير الى قيصرية · وقبل الوصول الى ميناء يافا اتجه الى الداخل تجاه الرملة واللد المجاورة حيث استراح الجيش أياما قليلة ، وهناك رسم أول اسقف فى الأرض المقدسـة ، وهو أسقف سان جورج (اللد) كنوع من التقرب ببواكير الثمار الى اله الجيوش فى أرضه الموعودة ·

وكان على الصليبيين أن يكونوا اكثر امتنانا لما حققوه ، فقد هجر المسـلمون الذين أخذتهم المفاجأة ميناء يافا والرملة دون قتال · وبعد احتلال القدس ضمن الصليبيون لأنفسهم ملجأ وملاذا فى هاتين المدينتين الواقعتين في منتصف الطريق ، كما ضمنوا منفذا مباشرا الى البحر · فقد اعتمد مستقبل الصليبيين تماما على التعزيزات والامدادات التي قدمت اليهم من أوربا عبر البحار ·

وبعد ثلاثة أيام من الراحة ترك الجيش حامية فى الرملة ، ثم اشتبك فى القتال في منطقة جبال يهوذا · وفى ٧ يونيو ١٠٩٩ وصل الصليبيون الى قمة تل يشرف على القدس · وهو المدفن المتعارف عليه للنبى صموئيل · وأخيرا صافحت عيونهم المدينـة المقدسـة · وتم تعميد التل باسـم « تل الفرح » · وركع أفراد الجيش فى صلاة تأملية خاشعة وهم يشاهدون المدينة بقبابها ومآذنها ومنازلها ذات الاسقف المسطحة وأسـواقها ذات الاسقف الدائرية · وكان من الصعب تمييز قبة كنيسة القيامة · وعلى خط الأفق خلف المدينة يقع جبل الزيتون والموضع الذى شهد صعود المسيح · كانت الحملة الصليبية تقترب من نهايتها ووصل وفد مسيحى من بيت لحم ليطلب الحماية للمسيحيين الذين بات وجودهم تحت تهديد مشاعر التعصب والرغبة فى الانتقام التى تملكت المسلمين · وحين أسـدل الليل ستاره امتطى تنكرد صهوة جواده باتجاه المدينة ، وفى صباح اليوم التالى كان

هناك علم نورمانى يرفوف فوق كنيسـة الميلاد قبل أن تطأ قدم أى غربى تراب مدينة القدس المباركة ٠

كان الفصل الأخير فى قصة الحملة الصليبية هو حصـار القدس الذى استمر طوال خمسـة أسـابيع (٧ يونيو ١٥ ـ يوليو ١٠٩٩) ٠ وكانت المدينة قد هيأت نفسها لحصـار طويل نظرا لأن الوديان العميقة تحيط بهـا من كل جانب ، ماعدا الجانب الشـمالى ٠ وأقام الصليبيون معسكراتهم حول الأسوار الشمالية والغربية والجنوبية للمدينة ، ولكنهم فشلوا فى اغلاق المدينة من جهة الشرق (بين سـاحة الهيكل وجبـل الزيتون) ٠ وتصوروا أن الحصار سـوف يكون عاديا ، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن قواتهم لن تتمكن من تنفيذ مهمتها بسهولة ٠

ولم يكن هناك ما يلائم هذا الفصل الأخير فى ملحمة الحملة الأولى أكثر من اشاعة حدوث بعض الرؤى المقدسة ، واشتراك القديس جورج فى المعارك ٠ وهنا كان قادة الحملة الصليبية الذين كانوا ابطالا فى مئات المعارك ، ورفاقهم من المقاتلين المحنكين ، يبحثون عن النصيحة والمشورة لدى راهب عاش فى أحـد كهوف جبل الزيتون عن كيفية الاستيلاء على المدينة ٠ فلم يكن هناك جدوى من الغارات الفاشـلة على الأسـوار ، ومواكب المشاة المحيطة بها ، أو توقع سقوطها على نحو ما سقطت أسوار أريحا ٠ لقد انقضت الأسابيع الخمسة قبل أن تكون آلات الحصار جاهزة للعمل ولشن هجوم شامل يوم الجمعة الخامس عشر من يوليو ١٠٩٩ ٠ ففى وقت الظهيرة ، سـاعة الصـلب فى التراث المسيحى ، نجح برج المحاصرة بقيـادة جودفرى فى الاقتراب من الطرف الشرقى للسـور الشمالى ، وثم مد جسر على شرفات الحصن ، ودخل الجيش المدينة من الحى اليهودى ٠ وفى الوقت نفسه دخل ريموند السـانجيلى المدينة من الركن الجنوبى الغربى (جبل صهيون) وتلقى شروط استسلام قائد القلعة المصرى بينما تحرك تنكرد صوب صخرة القبة مباشرة ٠٠٠

واعقب سقوط القدس مذبحة فظيعة راح ضحيتها المدافعون عن المدينة وسكانها من المسلمين واليهود · وأبيحت المدينة لأعمال السلب والنهب على مدى ثلاثة أيام متوالية · وفاض الـدم فى الشوارع ، وظلت اكـوام الجثث مصدر ازعاج فى الشوارع فترة طويلة · وفى هذا الجو الموحش الذى يلفه الصمت الرهيب وتغلفه الروائح الكريهة الصادرة عن المنازل المحترقة والأجساد العفنة اجتمع الصليبيون فى كنيسة القيامة ، وترددت عبارة Te Deum laudamus أى « نحمدك يا الله » فى الكنيسة القديمة وهكذا انتهت الحملة الصليبية الأولى وتأسست المملكة الصليبية ·